

الخلافة الصوفية والخلافة الشرعية الخلافة على نوعين :

وهي قسمين:

- خلافة كاملة يقوم فيها الخليفة بكل المهام من دون من استخلفه .
- خلافة ناقصة ، يقوم فيها المستخلف ببعض المهام التي أوكله بها المستخلف .

خلافة بمعنى
الاستخلاف ، أي خليفة
مستخلف (استخلفه
غيره) .



خلافة بمعنى
التعاقب ، أي خليفة
يخلق غيره في مقامه
(يأتي بعده) .

٢

ومقصود الصوفية بالخلافة هو الخلافة الكاملة ، إذ عطّلوا
الرب عن تدبير الأمر كلية بدعوى التنزيه وجعلوا ذلك للخليفة .

استدلوا على دعواهم بـ :

أولاً الاستدلال بنص شرعي .

وهو قوله تعالى :
{ إني جاعلٌ في الأرض خليفة }

الرد على استدلالهم بالنص الشرعي :

أن القرآن منزل لهداية الناس
ويستحيل أن يقرر أن الإله هو
هذا الإنسان الكامل ، بل
القرآن على الضد من ذلك ، إنه
ينسب ذلك كله إلى الرب جل
جلاله ، ويتوعد من ينسبه إلى
أحد من خلقه .

القرآن

أنه لم يقل أحد من مفسرين وغيرهم بقولهم هذا ، فقول الصحابة والتابعين أن معنى الخلافة في الآية هو ما جاء في النوع الثاني (بمعنى التعاقب) ، بمعنى يخلق بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، وهذا المعنى هو مقتضى تفسير القرآن بالقرآن .

وقد ترد الخلافة بمعنى الحكم والتوكيل في كلام المفسرين وهي الخلافة الناقصة ، والمعنى أن يكون الإنسان خليفة عن الله في إقامة حكمه وشرعه في الأرض ، وليس للصوفية في هذا متعلق .

أن من أعظم صفات الله
تعالى القيومية وقد امتدح
بها نفسه في أعظم آية
وهي آية الكرسي ، سمى
نفسه بالقيوم وقررّ فيها أنه
يدفظ ويمسك ، وهم ينفون
ذلك.

الغلب
حلب



أن الله تعالى يقول للشيء
كن فيكون فيليق به ذلك
لكمال قدرته وإرادته وعلمه
وغناه ، بخلاف الإنسان فهو
ناقص وفقير إلى غيره فلا
يليق به ذلك .

الآثار التي استدل بها الصوفية إما أنها لا تثبت ، أو أنها صحيحة لكن لا يراد منها ما ذكره كاستدلالهم بقوله عليه السلام كن أبا خيثة ، فهو إما أن يكون بمعنى (أنت أبا خيثة) كما تقوله العرب، أو أنها دعاء ، والآيات تثبت للنبي عليه الصلاة والسلام العبودية وتنفي عنه ما اعتقدوه ، ولو كان يملك (كن) فأين هو منها في معاركه مع الكفار .

العلم حاد

ثانياً اتحاد الإرادة الإلهية والإنسانية

الاتحاد في الإرادة منه ما هو صحيح بمعنى :
أن إرادة العبد لا تجري إلا وفق إرادة الله فلا
يسمع ولا يبصر ولا يبطش إلا وفق مرضاته
ومحابه، وهو اتحاد في الأسباب والأحكام ،
وليس هذا هو مراد الصوفية ، لكن مرادهم :
اتحاد في التصريف والتكوين والتدبير .

أما النصوص الموهمة بأنّ الله قد
يعطي بعض عباده شيئاً من التصرف
وتدبير الكون مثل ما جاء من
الكرامات في حق عيسى عليه
السلام من إحياء الموتى بإذن الله و
ما يعلمه من الغيبيات ، ومثل توكيله
لبعض الملائكة من أعمال كونية
فيجاب عنها بأمرين :

واحد

تحديد مناظ النزاع -أي محله - : وذلك ببيان
الوظائف التي وكّل الله بها بعض خلقه
ومقارنتها بالوظائف التي ينسبها المتصوفة
للأولياء . نوعاً وكماً . هل صورتها واحدة !!

اثنين

الآثار المترتبة لتلك الوظائف عند الفريقين .

وخلصة الأمر :

- أن حقيقة وظائف المخلوقات الموكلة لهم من الله محدودة غير مطلقة في نوعها وكمها .
- وأنها لا تعدو أن تكون مأمورة ، وليس لها من الأمر شيء .
- وأن ذلك لا يسوغ عبادتها .

وساطة الإنسان الكامل للخلق

من الممتنع عند الصوفية إدراك الحق إدراكاً مباشراً للتنزه عن الحوادث ، فلا بد من الوساطة التي يقوم بها الإنسان الكامل بما له من الازدواجية الإلهية الكونية المؤهلة له للقيام بهذه المهمة.

مهمة الواسطة في هذه العملية التصاعدية هي :

وساطتها
في
تحصيل
العلم
الدني .

وساطتها
في تعرف
الخلق
على
الحق
والفناء
فيه .



وساطة الإنسان الكامل في
تعرف الخلق على الحق
الكلام فيه على نمسة
أمور :

١. وجوب معرفة الإنسان الكامل

يرى الصوفية وجوب معرفة الإنسان الكامل لأن معرفته هي معرفة الله تعالى ، فمن لم يعرفه لم يعرف ربه ، لأنه على صورته له كل أسمائه وصفاته .

أمّا أسباب الصوفية في وجوب معرفة
الإنسان الكامل فتتلخص في أمور :

كونها طريقاً لمعرفة
الله تعالى ، سواء عن
طريق النفس ، وهذا
صالح الكمّل . أو عن
طريق الكمّل وهذا
في حق المبتدئين.

كون الإنسان الكامل
الذي يملك الكلام
باسم الله تعالى ،
ومن ثم تجب طاعته .

كون الإنسان
الكامل مركز الوجود
والعطاء فالمبدأ منه
والالاتجاه إليه .

كونه مركز الوجود
والعطاء ذلك يعني
ضرورته من أجل الوحدة
الاجتماعية ، فمحدوريته
تجعل حضوره دائماً
في كل زمان ومكان .

٢. الأصل في الإنسان الكمال

كون الإنسان على صورة الله تعالى عند الصوفية ، له كل أسمائه وصفاته مع جمعه الحقائق الكونية ، هذا الاختصاص عندهم لكل إنسان وهو هبة ليس للإنسان فيه اختيار ، فكل إنسان هو إنسان كامل من حيث الأصل.

وأما تخلف هذه القاعدة فمرده إلى الإنسان من ناصيتين :

حين لا يدرك حقيقة نفسه وكونه
إنساناً كاملاً ، و عدم الإدراك هذا
ينزله إلى مرتبة الحيوانية ، فهناك
إنسان كامل ، وإنسان حيواني
والكُمل على مراتب .

حين لا يدرك مَنْ الكامل من
الناس وقد أخذ الصوفية على
عاتقهم مهمة بيان هذه الحقيقة
وإجلالها للناس . ويرى الصوفية
أن الكمال في الخلافة ، ومن لم
يكن خليفة فليس بكامل .



٣. تناقضات ابن العربي

من المشهور عن ابن عربي تناقضه فهو إمّا أنه يدري فيظهر شيئاً في موضع وضده في موضع آخر ، يكلم الناس بحسب الحاجة ، وهذا هو الأقرب .
وإمّا أنه لا يدري بما في كلامه من اختلاف . ولا بد من إيضاح حقيقة كلام ابن عربي ، لأنه عمدة في معرفة فكرة الإنسان الكامل والصفية تبع له في ذلك .

فمعرفة حقيقة أمره وكلامه :

- يساعد في نقد الفكرة .
- ويسد الطريق على كل من يتأول كلامه بما لا يحتمل أو يستشهد بكلام له ظاهره يوافق الشرع .

٤. علاقة الإنسان الكامل بمرتبة الفناء

وساطة الإنسان الكامل في التعرف على الحق سبحانه ، وهذه هي المعرفة الصوفية ، وهي تماثل مرتبة الإنسان الكامل ، فالعارف هو الكامل وهو الولي والقطب ، وغاية المعرفة هي غاية التصوف وهي المعرفة التي لا تحصل إلا بعد بلوغ درجة الفناء .

فالإِنسان الكامل وهو يمارس دور الوسيط في إيصال الناس إلى معرفة الله تعالى ، يعمل على بلوغهم درجة الفناء في الوقت نفسه ، فالعارفون هم الفانون .

بيان حقيقة هذا الدور

الفناء ومرتبة الأزلية (فناء
من لم يكن وبقاء من لم
يزل) :

الإنسان الكامل عند الصوفية هو محور وأصل في وجود العالم وفي التعرف على الخالق ووصول الفيض الإلهي إلى الكون ، والحفاظ على بقائه ، فبه يقوم ، وبه يبقى ، وبدونه يزول ، وكل المجاهدات الروحية والعقلية والبدنية هدفها الوصول إلى مرتبة الفناء والاتحاد ، ويعرفونه بأن تصير الذاتان واحدة .